

تحولات كبيرة مرتقبة في السعودية وعلى رأسها الخمر



توقعت صحيفة التايمز البريطانية تحولات أكبر مرتقبة في السعودية بما في ذلك السماح بالكحول علنا في ظل نهج ولي العهد الحاكم الفعلي للمملكة محمد بن سلمان بنشر الإفساد والانحلال في بلاد الحرمين.

ونشرت الصحيفة مقالا للإعلامية إميلي ميتليس، مقدمة برنامج "نيوز نايت" السابقة على تلفزيون بي بي سي، عن جولاتها في السعودية التي تزامنت مع حلول شهر رمضان المبارك.

وقال ميتليس "قبل مغادرتي، تحدثت مع اثنين من رؤساء الوزراء البريطانيين السابقين - في مناسبتين مختلفتين تفصل بينهما أسبوعان. قال الأول إن التجربة التنموية السعودية لا مثيل لها: "السرعة مذهشة، والسعوديون سيرتكبون أخطاء، لكن الأمر مذهل." أما الثاني، فقال إن المكان سيذهلني، ثم أضاف: "لدي رقم هاتف ابن سلمان، إذا ساءت الأمور أرسلني له رسالة نصية."

وقد تم التخطيط للرحلة على عجل: زيارة خاطفة لمدة ثلاثة أيام - سافرت ليلاً بعد العمل - برفقة ابني ماكس الذي أنهى اختبارات محاكاة "Level-A"، واصطحبته كرفيق ذكوري. هي مغامرة وتجربة في آن. هل

سنحصل على التأشيرات في الوقت المناسب؟ هل يمكننا جعل عطلة نهاية الأسبوع تبدو وكأنها إجازة؟
الأهم: هل يمكنني التوفيق بين كل ما كنت أعتقد أنني أعرفه عن السعودية - نظام الحكم، معاملة الصحفيين، النساء، العمال الأجانب - وبين مكان أرغب في الاستمتاع فيه؟

لست متأكدة إن كان هذا العرض مقلقًا أم مطمئنًا. قدّمت طلبات التأشيرة عبر الإنترنت قبل أسبوعين. هناك عشرات المواقع،

واخترت ثاني أرخصها بناءً على تقييمات Trustpilot وتوفره لتطبيق. أرسلت بياناتي، ما يقارب 300 جنيه إسترليني، وصورة دعائية قديمة بدلًا من صورة جواز سفر، وتفاجأت بأن التأشيرة تمت الموافقة عليها في نفس اليوم وظهرت في التطبيق - كأنها محفظة إلكترونية على هاتفي. مقارنة بتجربتي مع إيران قبل ثماني سنوات، حيث تطلب الأمر مقابلة وسفارة غير رسمية وحجابًا وتأخيرات، كان هذا تقدمًا مذهلاً.

فقط بعد أن حجزت رحلتي غير القابلة للتغيير، أدركت أن زيارتي ستتزامن مع بداية رمضان.

نحن في "كورو" - مطعم وبار فاخر يمزج بين المطبخين البيروفي والياباني، بإضاءة خافتة وتصميم داخلي من الخيزران الإنكلي. المشروبات تصل محاطة بمنحوتات جليدية حمراء بحجم كرة التنس تذوب لتطلق نكهاتها. جميع طاقم الخدمة يتحدث الإسبانية ويتغنى بنضارة السيفيتشي وصلصة الواسابي واليوزو.

في زاوية من الطاولة، يُقدم لنا شواية معدنية صغيرة نستخدمها لتحميم أوراق النوري قبل لفها بلفائف التماكي. الزبائن شباب، أثرياء، أنيقون، وبعضهم واضح التجميل - مجموعات من النساء يلتقطن صور السيلفي. الخلفية الموسيقية متعددة اللغات.

لا يوجد دليل "لونلي بلانيت" للسعودية - وهذا بحد ذاته مثير. حجزت في فندق "شيرفان" وسط جدة، ومديره "أنس" أصبح موجهي وحارسي الملاك عبر رسائل "http://com.Booking.com":

"هل يمكن للنساء استخدام المسبح؟"

"هل يوجد طعام في رمضان؟"

”هل يمكنني الخروج وحدي؟“

”هل المدينة المنورة ممنوعة على غير المسلمين أم فقط مكة؟“

أجاب بصبر. ولم نلتق أبدًا.

الملابس كانت محسوبة بدقة. نصيحة من صديقة: ”لا ترتدي برقعاً كاملاً“. تقول إن الأمور تغيرت، ويُفضل ألا أبدو ككاريكاتير. جدة محافظة لكن أنيقة، فاخترت سراويل كاكي أنيقة، جينز واسع، بلوزات حريرية بلون الكريم، معطف طويل من ”درايس فان نوتن“، ووشاح رأس حريري بلون حجري. كعب عالي للمساء، وأحذية رياضية للنهار. أضفت عباءة سوداء طويلة تغطي كل شيء عدا الوجه - كانت منقذي للتنقل في المدينة القديمة.

”هؤلاء النساء عازبات. على تطبيقات المواعدة. يخرجن بمفردهن أو مع أصدقاء.“ قال لنا مضيفنا ”فادي“. ”أنتِ الوحيدة تقريبًا هنا التي تغطي رأسها.“ هذا شيء لم يكن ممكنًا قبل خمس سنوات. يعتقد أن الكحول سيُسمح به قريبًا - لمكافحة انتشار المخدرات، ولجذب السياحة.

قال: ”محمد بن سلمان يقول للشعب: السياسة خط أحمر، لا تقتربوا منها. لكن كل شيء آخر على الطاولة - الثقافة، كرة القدم، الفورمولا 1، التعليم، حقوق النساء. كلها قابلة للتغيير“.

هل يمكن أن تسمي ذلك ”ديكتاتورية ليبرالية“؟ نعم، يوافق. هذه هي بالضبط.

قضينا اليوم الأول في ”البلد“، الجزء الوحيد الذي ما زال يبدو كما يتوقعه السائح من مدينة سعودية. شوارع مرصوفة، مقاهٍ، وجوه الشيوخ. خراف كاملة معلقة في محلات اللحوم، ومتاجر ذهب وشيشة ومصايح علاء الدين. الجميع بملابس تقليدية، وأنا أرتدي السواد كفاصلة منحنية، وابني يتذمر من أن وسيلته الوحيدة لتحديد مكاني هي حقيبتني من برادا.

وعند الساعة الواحدة ظهرًا، اندفع الناس نحو باب مطعم ”البسالي“. من دون أن نعلم، وجدنا أنفسنا في أشهر مطعم مأكولات بحرية في المملكة. اخترنا سمكتنا من العرض - كاملة بعيونها - وشُويت وقدمت مع البطاطس والصلصة الخضراء. صور المشاهير على الجدران: رافا نادال، كاك، دل بييرو، جون تيري. أشك أنهم اضطروا لتعلم عبارة ”مشوي لا مقلي“ بالعربية.

مساءً، توقفت جدة تمامًا بزحام مروري من خمس حارات. يشبه لندن. أوبر متوفر، الأسعار متطابقة، وتويوتا كورولا حلت محل بريوس. وصلنا متأخرين إلى "كورو" للقاء أصدقاء سعوديين، ومع عرض قائمة "الموكتيلات" فقط، تذكرت أننا في دولة إسلامية لا تسمح بالكحول.

والسعودية تريد فتح الأسواق والسياحة وتغيير حياة مواطنيها. وستنفق ببذخ لتحقيق ذلك - طالما لا يسأل السعوديون من يحكمهم.

المملكة ستستضيف الألعاب الآسيوية الشتوية 2029 (بجبال ثلجية صناعية) وكأس العالم 2034. شركة أرامكو تصخ 1.3 مليار دولار في صفقات رياضية. يتهمها البعض بـ"تبييض السمعة رياضيًا"، لكن محمد بن سلمان قال ذات مرة: "إذا زاد ذلك الناتج المحلي بنسبة 1%، سنستمر".

سبع سنوات بعد مقتل خاشقجي، لم تعد السعودية تعتذر. بل تحتفل. تريد أن تُلاحظ، ويُستثمر فيها، وتبقي شعبها راضيًا بحيث لا تُطرح الديمقراطية كخيار.

لكن هل يمكن شراء الناس بعيدًا عن الديمقراطية؟ في بريطانيا، رغم التخويف، فقط 6% من جيل "Z" يفضلون ديكتاتورية على الانتخابات، حسب دراسة لجامعة كينغز. لكن عندما يُطرح السؤال بصيغة مختلفة: هل تقبل العيش في بلد بدون انتخابات نزيهة؟ الجواب يتجه نحو "نعم".

شركة "جون ميسون" للنقل الدولي سجلت زيادة 45% في عدد البريطانيين الراغبين بالانتقال إلى دبي خلال 12 شهرًا حتى مارس الماضي. خلال خمس سنوات، ارتفعت النسبة 420%. دبي ليست السعودية، لكنها قريبة - حكم فردي مطلق، ضرائب منخفضة، طاقة عالية، طقس جميل. لا أحد يتحدث عن عدم القدرة على التصويت.

خلال الأيام التالية، زرنا "بينالي جدة" - عرض مذهل للمخطوطات الإسلامية القديمة وفن معاصر على طراز "فريز"، كله داخل صالة الحجاج بمطار جدة. زرنا الكورنيش - يخوت من جهة، حلبة فورمولا 1 من الجهة الأخرى - وكأنا في موناكو الإسلامية.

عدنا إلى الفندق كل مساء لنجد عشر زجاجات مياه جديدة - رغم أن ماء الصنبور صالح للشرب (بحثت على غوغل).

بطيء، بدأت أهتم أقل بثيابي الطويلة (رغم صعوبتها في الجري) وأهتم أكثر بأكوام البلاستيك في

القمامة. السعودية تستهلك أكبر كمية تكييف منزلي في العالم - 73% من السكان يشغلون المكيف لعشر ساعات يوميًا طوال العام. كما أنها رابع أكبر مستهلك للنفط. ازدحام الطرق تذكير دائم بأنه لا يوجد نظام نقل عام في جدة. لا أذكر أننا رأينا حافلة واحدة.

هذا بلد بلا أنهار أو بحيرات دائمة - بيئة الصحراء لا تسمح. لكنه يملك أكبر محطة تحلية في العالم. ومع ذلك، لا توجد حتى الآن جهود واسعة لحفظ المياه. هذه هي صورة بلد منتشر بالنمو - طاقة غير محدودة وطموح جامح.

”تريد ثلجًا في درجة حرارة 50؟ سأحضره لك. تريد روناالدو؟ سأجلب لك كأس العالم.“

دبلوماسية؟ اجتماع محتمل بين ترامب وبوتين قد يُعقد هنا. كل شيء يحدث بسرعة. ربما بسرعة مفرطة.

في آخر يوم لنا، حلّ رمضان. صفّ المقاهي خلف الفندق صمت. مطعم ”بيكر أند سبايس“ مغلق حتى السادسة. الدين، على ما يبدو، هو الشيء الوحيد القادر على إيقاف الاقتصاد مؤقتًا.